**المحاضرة السابعة:**

**مدخل عام إلى الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى.**

1. **مدخل تاريخي للفلسفة في العصور الوسطى المسيحية:**

إذا كان هذا المقياس يهتم أيضا بدراسة الفلسفة المسيحية فإنه لا يستقيم الأمر دون الحديث عن مصطلح مهم يشكل الاطار الذي من خلاله نفهم روح الفلسفة المسيحية وتوجهاتها ونقصد به: العصر الوسيط Moyen-âge وأحيانا يأتي بصيغة الجمع العصور الوسطى. فبعض الكتابات حين تتناول الفلسفة المسيحية فإنها توظف مصطلح الفلسفة في العصور الوسطى للتعبير عن الفلسفة المسيحية، ومن قد تضاف كلمة "أوروبية" للتخصيص أكثر فتصبح الفلسفة في العصور الوسطى من أجل تمييزها عن باقي الفلسفة التي سادت في مرحلة العصور الوسطى مثل الفلسفة الاسلامية والفلسفة اليهودية. وينبغي أن نفهم أن الحديث عن الفلسفة في العصور الوسطى مرتبط بالفلسفة المسيحية أكثر منها بالفلسفة الإسلامية واليهودية على الرغم من أن هاتان الفلسفتان الأخيرتان تنتميان زمنيا إلى مرحلة العصور الوسطى.

زمنيا، هناك اختلاف حول تحديد الاطار الزمني للعصور الوسطى، فهناك بعض الكتابات تعتبر أن العصور الوسطى، كما تشير في معناها، تعني المرحلة الوسطى التي تمتد من نهاية الحضارة اليونانية-الرومانية وبداية العصر الحديث الذي بدأ يتشكل مع حركة الاصلاح الديني والنهضة الأوروبية، أي مرحلة وسطى بين سقوط روما عاصمة الامبراطورية الرومانية عام 476م، وسقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية سنة 1453م على أيدي العثمانيين، فتاريخيا تبدأ إذن مع القرن الخامس الميلادي إلى غاية القرن الخامس عشر. وهناك بعض الكتابات تجعل مرحلة العصور الوسطى أوسع لتشمل بداية المسيحية وبالتحديد مع أباء الكنيسة إلى غاية القرن الخامس عشر، وهناك من يجعلها أضيق حيث يعتبر بدايتها فقط مع عصر النهضة الأوروبية الأولى التي حدثت في القرن التاسع مع الجهود التي قام بها الملك شارلمان من أجل بعث روح فكرية جديدة.

إذا كان هناك اتفاق حول نهاية العصور الوسطى فإن هناك تباين حول بداياتها. فالرأي الذي يعترها تبدأ مع القرن الخامس فهذا لأنه يربطها بحدث مهم يتمثل في هو سقوط الامبراطورية الرومانية واتخاذ المسيحية دينا للدولة الذي كان مع نهاية القرن الرابع، هذا التحول أعلن نهاية العالم القديم (اليوناني-الروماني) وبداية عالم جديد (مسيحي). وأما الرأي الذي يعتبر بداياتها مع بالقرن التاسع فهذا لأنه يربطها بحدث مهم يتمثل في النهضة الكارولونجية التي قام بها الملك شارلمان Charlemagneفي القرن التاسع حينما أنشأ مدارس تعليمية أحدثت نهضة فكرية كبيرة في العصور الوسطى بعد الركود الفكري الكاسح نتيجة نهاية العالم القديم وغلق المدارس الرومانية وتراجع اللغة اللاتينية. وأما الرأي الذي يعتبر بداياتها مع القرن الثاني فهذا لأنه يربطها بمرحلة آباء الكنيسة التي عرفت بدايات تشكل الفلسفة المسيحية ونضجها مع القديس أوغسطين.

واستنادا إلى هذه الآراء يمكن تقسيم العصور الوسطى إلى مرحلة الآباء Age patristique التي تمتد من القرن الثاني إلى غاية القرن السابق السابع، والمرحلة الثانية المتمثلة في المرحلة الاسكولائية التي تبدأ مع القرن التاسع لتنتهي مع بدايات القرن الخامس عشر. عُرفت مرحلة الآباء بالاستثمار الكبير في الفلسفة القديمة للدفاع عن المسيحية ضد الوثنية والغنوصية، ومن أشهر ممثليها القديس أوغسطين الذي تأثر كثيرا بأفكار الأفلاطونية المحدثة. أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي بدأت مع القرن التاسع وتنتهي مع بدايات القرن الخامس عشر، ويشار إليها بالمرحلة الإسكولائية أو المدرسية نسبة إلى التعليم الذي كان في المدارس التي أنشأها شارلمان.

وفي المرحلة الإسكولائية يمكن التمييز بين ثلاثة نهضات أو مراحل فكرية الأولى: الاسكولائية المبكرة التي تبدأ من القرن الحادي عشر إلى غاية القرن الثاني عشر وفي هذه المرحلة ساد النقاش حول مسألة الكليات، المرحلة الثانية تمتد من القرن الثاني عشر إلى غاية القرن الثالث عشر وهي مرحلة اكتشاف فلسفة أرسطو وهنا نشب صراع بين الدومينيكان الذين يناصرون فلسفة أرسطو والفرانسيسكان الذين يناصرون فلسفة أفلاطون، ومن الفلاسفة الذين اشتهروا في هذه المرحلة نذكر توما الاكويني الذي حاول التوفيق بين الأرسطية والمسيحية، والمرحلة الأخيرة وتمثل الاسكولائية المتأخرة التي ظهرت في القرن الرابع عشر وتميزت بالثورة على النظم الفكرية القديمة والميل إلى المعرفة التجريبية ومن أشهر ممثليها نجد وليام أوكام.

السمة الرئيسية التي طبعت العصور الوسطى الأوروبية هو طغيان الدين الكنسي على الحياة الفكرية، حيث كان الفكر في هذه المرحلة توجهه الكنيسة بالطريقة التي تخدم غاياتها ومصالحها. في المرحلة السابقة على العصور الوسطى، أي في الفلسفة اليونانية-الرومانية كان الفكر مستقل عن الدين ولم يكن له سلطة على الفلاسفة، ولكن طيلة المرحلة الممتدة من سقوط روما إلى غاية نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة والاصلاح الديني كان الوضع مختلفا تماما فالفكر في هذه المرحلة كان ينشط تحت أنظار الكنيسة والذي منح هذه الشرعية لها هو تبني المسيحية دينا رسميا للدولة فأصبحت الكنيسة هي المؤسسة التي تسير أمور الدين والفكر وإلى الإمبراطور تعود مهمة تسيير شؤون الدنيا، وأما العقل فلم تكن له غاية أخرى سوى خدمة الكنيسة وتبرير سيطرتها، وأمام هذا الوضع الخاضع تماما لسلطة الكنيسة لم تظهر أية شروط فلسفة اجتماعية متماسكة بإمكانها أن تواجه وتثور على هيمنتها، وكان لزاما انتظار بداية عصر النهضة حتى يتم احياء التراث الروماني وتظهر أفكارا جديدة وتنطلق حركة الاصلاح لتعيد رسم علاقة الإنسان بالرب ويتم تحرير الفكر من شراك الكنيسة.

لم تكن علاقة العقل بالإيمان علاقة بسيطة في العصور الوسطى بحيث يمكن أن يتفقا أو يختلفا دون أن يحدث ذلك صداما عنيفا بينهما لأن الكنيسة في واقع الأمر لم تكن تفرض ذاتها باعتبارها منظومة من الحقائق يمكن مناقشتها أو رفضها أو تأكيدها علميا وعقليا وإنما تفرض ذاتها فرضا على نحو ما يفعل الكيان السياسي أو القواعد القانونية التي ينبغي الرضوخ لها وتطبيقها. فلم تكن هناك امكانية لمعارضة أفكار الكنيسة أو حتى مناقشتها والموقف الوحيد المتاح هو تأييد مصالحها اعلاء الولاء لها.

وكان التعليم في العصور الوسطى يشتغل بالطريقة التي تخدم الدين وتؤكد حقائقه. وكانت العلوم التي تدرس تسمى بالفنون الحرة وتنقسم إلى قسمين ثلاثية ورباعية، أما الأولى فهي: النحو والصرف والخطابة (الجدل)، أما الرباعية فتشمل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى. وهذه العلوم لم تكن لها غاية في ذاتها وإنما يتم تعليماها بالقدر الذي تشكل فائدة في علم الالهيات فالأولى تجد مبررها في ضرورتها لقراءة الكتاب المقدس وتعاليم آباء الكنيسة وشرحها وفهمها، وأما الرباعية فهي ضرورية لحساب مواقيت الطقوس والأعياد الدينية، لهذا لم تكن هناك مساعي لتطوير هذه العلوم ونشرها في العصور الوسطى لأن الغاية منها محددة سلفا وبالقدر الذي تسهم في خدمة الكنيسة.

إذا كان العلوم في العصور الوسطى موجهة بالطريقة التي تخدم الدين فإن منهج المعرفة نفسه كان يخضع لتوجيه الكنيسة حيث كان كل شيء يفسر عن طريق الدين وفي ذلك يقول جورج بوليتزرGeorges Politzer  »تفسر الكنيسة القروسطية المجتمع والدولة بالله، كذلك كانت تفسر بالله علمها. فنظرياتها كافة تحيط بها "هالة التكريس الإلهي". وتعاليم الدين الأساسية، العقائد، موحى بها من الله، وهذا الوحي حجة قاهرة في تأييد صحتها (...) ومنهج الوصول إلى الحقائق ليس دراسة الوقائع(الطبيعة)وإنما دراسة النصوص   « وبذلك فإن المعرفة القروسطية تجد صدقها بمدى تشبثها الحرفي بالحقائق التي أوحى بها الله حيث كان الجهد الفكري في العصور الوسطى يتجه إلى شرح النصوص وتأويلها وليس إلى الطبيعة وتفسيرها، حتى عملية دراسة هذه النصوص وتأويلها كان يقوم بها أهل الثقات الذين ميزهم الله بكرامات تمكنهم من بلوغ بعض الحقائق التي عرضها على البشر ولم يكن الـتأويل أبدا متاحا للجميع، وفي تأويلهم كانوا يسيرون على خطى من سبقوهم من الشراح الثقات. ما يعني أن المعرفة في العصور الوسطى كانت في أحسن أحوالها إعادة إنتاج ما تم إنتاجه من قبل. لم تكن هناك أية حرية في التفكير في العصور الوسطى لأن المنهج السائد آنذاك كان يلغي أية محاولة في الإبداع أو حتى الاعتراض عما هو سائد، أو وضع ما أسسه السابقون من الثقات (رجال الدين) موضع مسائلة، وكانت الكنيسة تفرض رقابتها على العقول وتقمع كل فكر حر. لهذا فإن دور العقل هو خدمة الدين والتأكيد على الحقائق التي أنزلها الله بطريقة عقلية فكانت بذلك: »مهمة العقل أن يثبت ذلك على وجه التحديد وأن يكدس الأدلة في صالح اللاهوت « وإذا وصل العقل إلى شيء آخر غير هذه الحقائق فمعنى ذلك أنه قد ضل الطريق.

في العصور الوسطى: »كانوا يميلون للشروحات والشروحات على الشروحات إلى ما لانهاية « وبذلك أغرقوا العالم باستدلالات وتحليلات عقلية تدور حول لاهوت عقيم لا يؤدي إلى أي مضمون جديد سوى تنقية وتهذيب منهج الاستدلالات والبراهين الصورية. وقد ساورا في هذا الطريق أميالا تقدر ألف سنة أو تزيد. وبالاستناد إلى هذا الوضع الفكري والأيديولوجي الذي ساد في العصور الوسطى المسيحية جاءت الأطروحة التي تعتبر العصور الوسطى هي عصور ظلام لأن العقل لم يكن يشتغل بشكل مستقل بل كان موجها من طرف رجال الدين بالطريقة التي يخدم الايمان الكنسي.

وبالمقابل هناك موقف آخر يقدم قراءة متفهمة للعصور الوسطى المسيحية ولا يتبنى موقفا معاديا لها حيث يذهب هذا الموقف إلى ضرورة التمييز في العصور الوسطى بين المرحلة المبكرة ( من القرن الخامس إلى غاية القرن العاشر) التي شهدت ركودا فكريا وانتشار الجهل نتيجة غلق المدارس القديمة وانكماش الثقافة الرومانية وتراجع اللغة اللاتينية، والمرحلة المتأخرة التي امتدت( من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر) التي عرفت انتعاشا فكريا نتيجة اكتشافه العقلانية الأرسطية من خلال الفلاسفة المسلمين، حيث تم تأسيس الجامعات( السوربون، اكسفورد بولونيا...) وتـأسست مراكز ترجمة لنقل علوم المسلمين وفلسفتهم فبدأت تتشكل العقلانية المسيحية التي تدعوا إلى تأويل النصوص المقدسة بطريق عقلية وظهرت هذه العقلانية بشكل واضح في فلسفة القديس أبيلار وبلغت قمتها في فلسفة القديس توما الإكويني. إن اكتشاف فلسفة أرسطو أحدث هزة فكرية في معتقدات العصور الوسطى المسيحية، حيث أصبح العقل ولأول مرة يطالب الإيمان تبرير صحة مقولاته وحقائقه، وهو واقع لم يكن قبل ذلك ممكنا. مساعي التوفيق بين الدين المسيحي والفلسفة اليونانية كانت مع بداية ظهور المسيحية أي مع عصر الآباء وتعد فلسفة القديس أوغسطين أحسن معبر عن مساعي هذا التوفيق، وكانت فلسفة أوغسطين الأفلاطونية هي المهيمنة على فكر العصور الوسطى حتى اكتشاف فلسفة أرسطو، حيث تم الابتعاد عن فلسفة أوغسطين ومعه فلسفة أفلاطون وحل مكانها فلسفة أرسطو. ولكن فلسفة أوغسطين كانت افلاطونية بامتياز وكان من السهل تحقيق التوافق بين الفلسفة المثالية الأفلاطونية والمسيحية بسبب التقارب بينهما، أما فلسفة أرسطو فكانت فلسفة عقلية منطقية وواقعية تتعارض مع الحقائق الايمانية المسيحية. لهذا ينبغي التمييز بين عقلنة الايمان المسيحية التي أسسها أوغسطين وعقلنة الايمان المسيحي التي أسسها توما الاكويني، الأولى كانت في مقابل فلسفة أفلاطون المثالية والثانية في مقابل فلسفة أرسطو الواقعية.

وعندما نتحدث عن العقلانية في العصور الوسطى بفعل تأثير فلسفة أرسطو ينبغي أن نضع هذه الصفة في معناها الدلالي الخاص بهذه المرحلة، فلا يمكن المقارنة بين العقلانية في المرحلة الحديثة والعقلانية في العصور الوسطى وقد أشار أرنست كاسيرر إلى ذلك بقوله: »والزعم بوجود عقلانية وسيطة يدل على عدم الدقة والكفاية في القول. فلم تتسع المذاهب الوسيطة لأي مكان لنوع مذهبنا العقلاني الحديث أي للنزعة الفكرية التي نصادفها عند ديكارت وسبينوزا و ليبنيتز، أو عند فلاسفة القرن الثامن عشر. فلم يتشكك أي فيلسوف مدرسي في المكانة السامية لأية حقيقة موحى بها (...) ولم يكن مبدأ استقلال العقل معروفا في الفكر الوسيط. فالعقل لا يستمد نوره من نفسه بل يلزمه منبع أعظم يستنير به، كي يقوم بعمله « لهذا لا يمكن المقارنة بين النور الذي ينبعث من شموع الكنائس والأنوار التي يكون منبعها العقل.

1. **مصادر الفلسفة المسيحية:**

يمكن تقسيم مصادر الفلسفة المسيحية إلى قسمين مصادر دينية ممثلة في العهد القديم والعهد الجديد، ومصادر فكرية فلسفية يونانية، اسلامية عربية ويهودية.

1. **المصادر الدينية**:

يعد الكتاب المقدس المصدر الديني الرئيسي للفلسفية المسيحية، حيث يقول ف:" لو سألنا مفكرا من القرن الوسيط أن يسمي، وفقا لتسلسل الأهمية، منابع فلسفته، لأعطى بكل تأكيد المقام الأول للكتاب المقدس، لكلام الله كما وجده مودعا في أسفار العهدين القديم والجديد". ويتألف الكتاب المقدس عند المسيحيين من العهد القديم والعهد الجديد، أما العهد القديم فهو ذلك الكتاب الذي ينظم علاقة بني اسرائيل بالله، ويشمل يشمل أسفار التوراة والأنبياء وأسفار الكتابات، أما العهد الجديد فهو خاص بالمسيحيين ويظم أربعة أسفار وتسمى بالأناجيل، أثنين منها تحمل اسم تلاميذ اليسوع هما "متى" و"يوحنا" وأثنين من معاوني القديس بولس هما "مرقس" و"لوقا"، وموضوع كل هذه الأناجيل رواية السيرة الذاتية لليسوع. وكتابة هذه الأناجيل على المرجح ابتدأت قبل عام 70 ميلادي وانتهت مع نهية القرن الميلادي الأول أو بداية الثاني.

1. **المصادر الفلسفية:**

* **الفلسفة اليونانية:** لم تكن كتب الفلسفة اليونانية حاضرة بقوة في العصور الوسطى، ولم تكن معروفة كما نعرفها في عصرنا الحالي أو حتى في العصر الحديث. فلم تعرف كتابات أرسطو أو لنقل أغلبها إلا في المرحلة الأخيرة العصور الوسطى، أما أفلاطون فكانت تقريبا مجهولة كليا، حيث تمت ترجمة محاورة طيماوس في القرن الرابع، أما محاورة يمون وفيدون في القرن الثاني عشر. أما مؤلفات أرسطو فيمكن تقسيم تلقيها في العصور الوسطى إلى ثلاث مراحل فإلى غاية القرن الثاني عشر (1150-1160)لم يكن يُعرف من مؤلفات أرسطو سوى الكتب المنطقية المتمثلة في المقولات والعبارة، ولم تصبح كتب أرسطو متداولة في العصور الوسطى إلى بعد نهايات القرن الثاني عشر وبدايات القرن الثالث عشر. تعدد الترجمات وعدم اكتمالها في بعض الأحيان أثر سلبا على فهم واستيعاب أفكار أرسطو، ويتم جمع كتبه وتدقيقها إلا مع العصر الحديث. أما الفلسفة اليونانية الأخرى فلم تكن معروفة في العصور الوسطى بشكل مباشر وإنما بواسطة مؤلفين آخرين.
* **الفلسفية الاسلامية**: تدين الفلسفة المسيحية إلى الفلسفة الاسلامية كما تدين إلى الفلسفة اليونانية. فإلى غاية القرن الثالث عشر كانت برامج التدريس والمذاهب والمواضيع محاكات للأصل الاسلامي واليهودي حيث كان لفلسفة الفارابي، التي ترجمت بعض كتبه إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، عظيم الأثر على الفلسفة المسحية ، وكتب ابن سينا أيضا لها تأثير على الفكر المسيحي وكان أول كتاب عرف عندهم هو كتاب الشفاء الذي تناول فيه المنطق والميتافيزيقا والفلسفة الطبيعية والرياضيات كما أن كتب الغزالي الذي كتب مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة كانا معروفان عند الفلاسفة المسيحيين وابن رشد الذي يعتبر الشارح الأكبر لأرسطو، فإذا كان الفارابي والابن سينا عرفا أرسطو فإن ابن رشد شرح أفكاره.
* **الفلسفية اليهودية:** تأثير الفلسفة اليهودية في الفكر المسيحي أقل مقارنة بتأثير الفلسفة الاسلامية إلا أنه تأثيرها يضل محسوسا فإذا كان المسلمون هم الذين ترجموا أرسطو فإن اليهود هم الذين عملوا على نقله إلى العالم المسيحي من خلال ترجماتهم، أما بخصوص الشخصيات الفلسفية اليهودية التي أثرت على الفكر المسيحي نجد اسحاق الاسرائيلي ( 850- 950) الذي يعد أول يهودي مزج بين الفلسفة الأفلاطونية الجديدة والفكر التوراتي اليهودي. وقد تم تداول كتابه التعاريف في القرن الثالث عشر المسيحي، وأما صموئيل ابن جبرول[[1]](#footnote-1)\* (1021- 1058) الذي كتب باللغة العربية تم ترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، ومن أشهر كتبه "ينبوع الحياة" حيث أثر كثيرا في كتابات بينافنتورا وألبير الكبير وتوما الاكويني، أما ابن ميمون الذي كتب دلالة الحائرين بالعربية وترجم إلى العبرية ثم إلى اللاتينية قبل 1230، فقد أثر بمقاربته التوفيقية بين الأرسطية والتراث اليهودي في كل من توما الاكويني واكهارت

**3 - إشكالية الفلسفة المسيحية**:

هل يمكن الحديث عن "فلسفة مسيحية" دون أن يثير ذلك إشكالا فلسفيا؟ سؤال طرحه اتيان جيلسون في كتابه روح الفلسفة المسيحية، كطريق لمعالجة طبيعة العلاقة التي تربط بين الفلسفة والدين عموما والفلسفة والمسيحية بشكل خاص. هذه العلاقة تطرح بإلحاح بطبيعة الفكر الذي ساد في مرحلة العصور الوسطى لأن روح هذه المرحلة ووعيها كان يتمثل في الدين وانسان هذه المرحلة حينما فكر وأعمل دواليب عقله كان جل تفكيره مرتبط بالمسائل الدينية، فانتج لنا ما يمسى بالفلسفة الاسكولائية فهل هذه الفلسفة المرتبطة بالدين تستحق أن نطلق عليها لقب "الفلسفة"؟ للإجابة عن هذه الاشكالية أورد اتيان جيلسون ثلاثة مواقف متباينة.

الأول: ذلك الذي أورده المؤرخون، والثاني يتمثل في موقف الفلاسفة، والثالث وهو موقف يمثله الاسكولائيين. أما الموقف الأول فيرى أن لا يوجد شيء يمكن أن نسميه فلسفة في العصور الوسطى وما هو موجود إنما هو مجرد لاهوتي تم مزجه بالفلسفة اليونانية. فكل ما يسمونه فلسفة هو مجرد أفكار أفلاطونية وأرسطية تم تطبيقها على الدين، وفي أحسن أحوالهم هي محاولة الجمع بين أفلاطون وأرسطو. إن هذا الموقف ينفي نفيا مطلقا أن تكون للعصور الوسطى فلسفة خاصة بها، نابعة من داخلها ومن ابداعها بل كل ما نسميه فلسفة هي من لدن الفكر اليوناني.

أما الموقف الثاني فيمثله العقليون الخلص وهو موقف نابع من تشريح طبيعة العلاقة التي تربط بين الفلسفة باعتبارها ميداني التفكير العقلي والدين ميدان الايمان، والعقل والايمان حسب هذا الموقف متناقضان ولا يمكن الجمع بينهما لأنه لا يمكن الجمع والتوفيق بين الفلسفة التي تقوم على العقل والوحي الذي قوامه اللامعقول ومنه فإنه مصطلح الفلسفة المسحية لا يستقيم منطقيا لأنها متناقضان جذريا.

أما الموقف الثالث فهو الذي تمثله الاسكولائية الجديدة. وينقسم إلى ثلاثة آراء. رأي يعتقد أن الفلسفة وسيلة تساعد الإنسان لقبول بعض الحقائق الدينية، وفي هذه الحالة لا توجد فلسفة مستقلة بذاتها وإنما تابعة للاهوت، ويتجلى هذا الرأي في الأوغسطينية التي تعتبر أن الإيمان هو الذي يقود إلى التعقل(أؤمن لأتعقل)، والرأي الثاني والذي تمثله الفلسفة التوماوية يعتبر أن الفلسفة جزء من اللاهوت وتابعة له، ولكن يؤمنون أن العقل هو الذي يقود إلى الإيمان، (أتعقل لأؤمن)، وما يميز الرأي الأول والثاني هو أن ليس هناك فلسفة مسيحية فالأول بما أنه يمنح الأولوية للإيمان على العقل فهو في النهاية لا يؤمن سوى باللاهوت المسيحي، أما الرأي الثاني فهو يعتبر أن الإيمان لا يمكن الغائه ولكن يمنح الأولوية للعقل على الإيمان، ولكن، في النهاية، وهو يمنح الأولوية للعقل فإنه لا شيء يميزه عن موقف المؤرخين والفلاسفة اللذين يؤمنون بالعقل فقط وبذلك ينفي ضمنيا وجود "فلسفة مسيحية"، لأنه في النهاية لا يعترف سوى بالعقل. ورأي ثالث يؤمن بوجود "فلسفة مسيحية حقة" لها أصالتها وإبداعاتها. وهذا الرأي الأخير هو الذي يدعمه اتيان جيلسون ويدافع عنه، وفي الحقيقة فإن هذا الرأي هو محاولة للتوفيق الرأي الأول والرأي الثاني. وذلك من خلال توفير تحليل طبيعة العلاقة التي جمعت الفكر الفلسفي مع المسيحية وما هي الأشياء التي أخذتها من الفلسفة وماهي الأمور التي أضافتها بمعنى محاولة القبض على روح الفلسفة المسيحية هذه الروح التي لا توجد في أي فلسفة أخرى. حيث يعتبر أتيان جيلسون ان الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى غاية كانط وحتى فلاسفة القرن التاسع عشر مدينة للفلسفة الوسيطية وهناك ـفكار طرحتها الفلسفة الحديثة العقلانية لا يتاح تفسيرها إلا بالعودة إلى التراث الفلسفي الوسطي، مثل براهين وجود الله وفكرة خلود النفس التي تجدها في لفلسفة ديكارت فهي في الأصل موجودة في التراث المسيحي، كما أن واحدية الله والخلق المستمر والخلق من العدم والعناية الالهية التي طرحتها المسيحية والتي تداولتها الفلسفة الحديثة لم تكن معروفة في التراث اليوناني، لهذا لا يمكن فهما في الفلسفة الحديثة دون العودة إلى الفلسفة الوسيطية. هناك العديد من فلاسفة الحداثة ممن تأثروا بالفلسفة الوسيطية مثل مالبرانش وباسكال وليبنيتز وكانط، حتى بعض اعداء العصور الوسطى يعترفون بفضل الفلسفة الوسيطية في اضاءة بعض الأفكار الميتافيزيقية. كل كتاب اتيان جيلسون "روح الفلسفة المسيحية" يسير في هذا الاتجاه الذي يؤكد على أصالة الفلسفة المسحية والاشادة باسهاماتها في تاريخ الفكر البشري، وهو يرد يدافع عن الفلسفة المسيحية فإنه أيضا ساهم في رد الاعتبار لمرحلة العصور الوسطى ككل التي كثيرا ما تم وصفها بعصور الظلام.

1. \* في البداية كان يعتقد أن ابن جبرول عربي مسلم ولم يتم التحقق من هويته اليهودية إلا مع القرن 19. [↑](#footnote-ref-1)